

معانيه والعمل بما فيه ، ولقد حفظه العربي والعجمي سواء بسواء وحفظه الكبار والصغار والرجال والنساء والأميون والمتعلمون؛ بل إن من إعجاز القرآن أن المسلمين كلما نظروا فيه أبصروا خيراً يقود إلى خير ونوراً يهدي إلى نور ، والتقطوا منه درراً وفرائد تغري دائماً بطلب المزيد. إنهم لم يعموا بالنظر فيه وإنما أبصروا ، أبصروا معاني متجددة دائماً ومتوالدة أبداً ولذلك فهم لم يملوه ولم ينصرفوا عنه. غير أن رودينسون وضرباه يابون إلا أن يلزموا قارئ القرآن أن يقر بوجود أخطاء وأغاليط فيه ، وإلا فهو أعمى مستعبد للقرآن ، بحكم الإلف والعادة .

وأما قوله بأن بعض المسلمين ، الذين سماهم بالمفكرين الأحرار ، قد حاولوا تقليد القرآن ونجحوا في ذلك فألقوا - في زعمه - ما أطلق عليه معارضات القرآن فخطأ بين . فأين يا تري هي تلك الأعمال التي كتبها هؤلاء المعارضون حتى ندرسها ونقومها، وإننا لتساءل هنا كيف لم يستطع أصحاب المعارضات المزعومة أن يفرضوا وجودها فتبقى على خط متواز مع القرآن ؟. وإذا كان الكاتب يلمح بكلامه هذا إلى ما قيل عن ابن الراوندي الملحد الذي طعن في النبوة والتوحيد والمعجزات^(١) ، أو ما قيل عن ابن المقفع أو أبي العلاء المعري أو غيرهم، فإنه أجمل القول لأن تفاصيله تظهر جهله وتعصبه .

نشير باختصار إلى ما قلناه في كتابنا القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي ، أن كتب وأعمال ابن المقفع والمعري على سبيل المثال لا تزال بين أيدينا ، وهي لا تداني بلاغة وبيان القرآن ، ولا ترقى إلى أي وجه من وجوه المقارنة بالنسبة له .

ثم يقول رودينسون أن المستشرق الكبير ثيودور نولدكه قد كتب باستفاضة عن الأخطاء الأسلوبية في القرآن (ص ٩٣). فهل ياترى يمكن أن يكون نولدكه حجة على لغة القرآن وأسلوبه وأن تكون حجته في مجال الدراسات القرآنية فوق حجة علماء المسلمين القدامى منهم والمحدثين ، الذين اتفقت كلمتهم على سمو لغة القرآن وكمال إحكام أسلوبه ؟ ومن الأحكام التعسفية لهذا الكاتب أيضا حكمه بأن «محمداً لم يكن في باله أن يولف كتاباً وذلك لأن خيرته الأولى ، يعني خيرته الروحية لم تكن على الكلام وإنما على الأعمال الباطنية والرياضة الروحية كالكهان». وهذا تشكيك آخر في القرآن ، وفي رسالته العالمية وفي الإسلام جملة ، وإننا لتتعجب كيف يصل العداء

(١) انظر أبو الحسين عبد الرحيم الحياط، كتاب الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد، مع مقدمة وتحقيق وتعليقات للدكتور نيرج، (القاهرة - مكتبة الدار العربية للكتاب - ١٩٩٣م) ص ١ وما بعدها .